## 

## 

## رحل يونان لبيب رزق

وكأنى فقدت أبي مرة أخرى، مع أنه رحل وهو يكبرني بأربعة أيام لا غير.

كنت أحبه، مع أننى لا أحب التاريخ، أعنى لا أثق فيه، لا أعتمد عليه، لا أستشهد به، لا أفخر به إلا إذا كنت قادرا أن أمارس محاولة إحياء ما أفخر به "الآن"، أنا لا أثق إلا في التاريخ الذي يجتويه "دنا" DNA خلايانا الآن، هذا الموقف المؤلم يشكل لى إشكالا حقيقيا مع كثير من المعلومات الحكية مهما بلغت من القداسة.

قابلته مرة واحدة، اشتركنا في ندوة في الجلس الأعلى للثقافة، أذكر أنها كانت عن ثقافة المرأة، أو قضية المرأة، أو إبداع المرأة، أو إبداع المرأة، أو شيء من هذا القبيل الذي لا يصلني منه اعادة - إلا عكس ما يزعمون أنهم يريدونه لها، لا منها !! المهم: في تلك الندوة، تكلم هذا الراحل الكريم بعدى، وفوجئت أنه يقرأ ما أكتب هنا وهناك، لم أصدق، أنا أكتب ولا أعرف ماذا يصل إلى من، وإذا بهذا الرجل يبلغني ما بلغني ما نخجل أن أعيده، عرفت أنه قرأني، وعرفني، وأقر ما أفعل، وما أحاوله، شعرت أن أبي يباركني ويشجعني، ربما هذا ما يفسر شعوري عند فقده، يومها فرحت فرحة وكأنني وجدت مليارا من البشر تصلهم كلمتي.

ذات مرة قرأت وصفا له يقول: إنه إنسان يستحيل عليك أن تكرهه، اضطررت إلى الموافقة على هذا الوصف، مع أني احترم الكره بقدر احترامى للحب، وأعتبره شرطا من شروط الحب الحقيقى، ولكن كيف يمكن أن أكره شخصا بهذه الدماثة كلها حتى وهو يكتب التاريخ الذى غالبا لا أصدقه، ربما في عدم تصديقي هذا نوع من الكره الجميل.

آخر مرة اضطررت فيها أن أعلن أننى اختلف معه لدرجة الرفض، كان أثناء تسجيلى لحلقتين متتاليتين عن مسلسل الملك فاروق، حين أعلنت اعتراضى الشديد على تصريحه بأنه بلغه من حسن باشا يوسف وكيل الديوان الملكى،أن الملك فاروق كان عنده فصام، نبهت في الحلقة إلى أن استسهال استعمال هذا اللفظ الغامض من مؤرخ عملاق مثل د. يونان هو تجاوز يسئ إلى العلم، وإلى الناس، وإلى صاحب السيرة، وإليه، ولا يضيف شيئا !!، كنت أدلى بشهادتى تلك على الهواء، وأنا غير مصدق أنني أتحدث عن هذا العالم الجليل الجميل النبيل، لكنني كنت مستثارا من هذه الموجة الشائعة التى تهين مرضاى قبل أن تهين من يوصف باسمهم، شعرت وأنا أعترض على رأيه هكذا أنني قد تجاوزت الحدود التى تسمح بها عاطفتى نحوه، لكنني اكتشفت في نفس الوقت أن هذا نوع آخر من الحب.

قبل ذلك بأبام رجل إنسان مصرى آخر، جميل نبيل أيضا، هو جمال بدوى، قابلت هذا الرجل أيضا مرة واحدة، كان ذلك في الثمانينات، في مكتبه في مقر الوفد القديم، كنت أحتج على تحاوز ما أصاب مقالا نشر لي بصحيفتهم، شعرت فحأة أُنني في مبدان الحطة في طنطا، (إن كان مازال بهذ الاسم)، إذا كان قد وصلني أن د. يونان "أي"، فقد شعرت يومها أن جمال بدوي هو "ابن عمى"، وأننا نسر جنبا إلى جنب في قحافة ضاحبة طنطا الملتصقة. بعد رحيله، عرفت أنه من بسيون ، كان مركزنا -طفلا- السنطة ومديريتنا طنطا، قبل أن تستولي علينا إمارة المنوفية لتضمنا إلى مركز بركة السبع بدون حق تقريرالمصر، يومها اعتذر لي جمال بصدق بالغ، وقال لي كلاما قريبا مما قاله د. لبيب رزق بعد عشر سنوات، تابعته بعد ذلك في التليفزيون، وفي المصور، مؤرخا يكتب التاريخ بتحيز طيب، ذلك التحيز المعلن الذّي هو أكثر حيادا ممن يدعون الحياد، ف محادثة هاتفية معه بعد سنوات ، عبرت له عن إعجابي بدقته وإتقانه وصدقه، برغم موقفى من كتابة التاريخ، وإذا بالحديث يطول وهو يشرح لى معنى "التأصيل"، استطعت أن . أستنتج أن هذا هو الذي يجعل من كتابته للتاريخ تشكيلا يصل إلى الناس أسرع وأُقرب.

هكذا عرفت أكثر فأكثر الفرق بين تسجيل التاريخ، وبين إحياء التاريخ، وإبداع التاريخ، وتلفيق التاريخ، وحمل أمانة التاريخ، ومسئوليتنا "الآن" عن التاريخ.

ليس لى أصدقا، بالمعنى الشائع، لكننى انتزعت صداقة الراحلين دون إذن، بعد (وقبل) مقابلة واحدة مع كل منهما.

وداعا صدیقیّ، واطمئنا، فمصر قادرة علی إنجاب من یکمل ما بدأتماه، کل بطریقته.

وداعا.

مع أننى لم أتنازل عن موقفى من التاريخ والمؤرخين. أعمل ماذا؟